اجتهادات
هوس ضد المسلمين

لم تعد «الإسلاموفوبيا» المرض الوحيد الذى أصاب بعض الأوروبيين. ثمة تشخيص جديد لم يصفه طبيب نفسى متمرس، بل سياسية فرنسية من النوع الذى مازال حريصا على احترام نفسه ومبادئه. فقد رأت فى قرار وزير التعليم حظر ارتداء العباءة فى المدارس نوعًا من الهوس أيضًا. الفوبيا مرض نفسى. لكن بعض أنواع الهوس يمكن أن تدل على مرض عقلى عندما تؤدى إلى اضطرابات متفاوتة فى دماغ المصاب به. ويبدو أن هذه الاضطرابات بلغت ذروتها فى حالة اليمين الفرنسى بكل ألوانه المحافظ والليبرالى الجديد والراديكالى، وامتدت إلى الاشتراكيين والشيوعيين عبر حزبيهما المُندثرين.

ينطلق هذا التشخيص من ملاحظة أن العباءة التى ترتديها بعض التلميذات لا يمكن اعتبارها رمزًا دينيًا، لأنها لا تحملُ أى دلالة على أنها زى إسلامى. فهى ليست

مثل النقاب الذى حُظر فى 2010، وكان منعه مفهومًا، ولا يمكن تحميلها الدلالة التى أعطيت للحجاب لتبرير حظره عام 2004. فما هى إلا نوع من الزى المحتشم ترتديه، وما يماثله، نساء محافظاتُ من أديانٍ وأعراقٍ مختلفة. وإذا أردنا ربطها بخلفيةٍ معينة، فنجد أنها تعبر عن ميولٍ أو تقاليد محافظة. لكن الهوس يدفعُ فرنسيين محافظين فى الحزب الجمهورى مثلا إلى تأييد قرار حظر ارتدائها.

يعود الفضل فى هذا التشخيص الجديد إلى كليمنتين أوتان عضو البرلمان عن حزب فرنسا الأبية اليسارى الراديكالى. دعم زعيمه جان لوك ميلانشون موقفها فى جوهره، وعبر عن شديد حزنه بسبب ما اعتبره (استقطابًا سياسيًا من خلال حرب دينية جديدة سخيفة ومصنوعة حول زى نسائى).

لا يعترفُ المهووسون بأن مشكلة المدارس فى فرنسا لا تتعلق بالعباءة، بل بنقص المعلمين فى عددٍ غير قليل منها. وليس هذا إلا جزءًا من مأزق حكومات الرئيس ماكرون، الذى ربما يدخلُ التاريخ من بابٍ خلفى إن فازت

مارين لوبان بالرئاسة ودخلت الإليزيه عام 2027 محمولة على فشل سياساتٍ عشوائية وقراراتٍ غير مدروسة وإنكارٍ مستمر للواقع، ومن ثم تخيل أن الحل لا يتطلبُ سوى لفت الانتباه عن مشكلات حقيقية إلى قضايا مصنوعة.